على أبواب جهنم

الرجل الطيب المكافح فى سبيل عيشه مر فى حياته على خطوات من سور جهنم . . .

وأخذه الزبانية وفتح له «مالك» أبواب النار وخلال ساعات ، ودون أدنى جريرة وقف المسكين وقدمه فى هذه الدنيا وقدمه الأخرى فى جهنم .

هذه الرواية وقعت فى صيف سنة ١٩٤٨

فى يوم من الأيام العشرة الأواخر من يوليو والساعة تقارب الثانية بعد الظهر ، والشمس تصب غضبها على الأرض ومن فيها ، والمساكين الذين اضطرتهم ظروف العيش إلى السير فى الطرقات فى هذا الحر الخانق يتسارعون لإدراك بيوتهم ، أو يهومون فى مواقفهم أو يجرون أقدامهم جرًّا إذا كانوا ممن كتب عليهم صراعُ الحياة أن يصطلوا بهذه النار .

السكون يخيم على شارع خيرت ، وسيارة مرسيدس عتيقة تتهاوى إلى جانب الرصيف ، ثم تقف أمام محل ، ساعاتى السيدة زينب . . وينظر راكب السيارة إلى الدكان فلا يرى إلا غلاماً صغيراً هو ابن صاحب المحل يجلس على كرسى فى مدخل الدكان وهو مستسلم للنعاس وينادیه راكب السيارة دون أن يخرج منها :

– أين أبوك يا لطفى ؟

وكرر النداء مرتين . . ثلاثاً . . حتى أفاق الغلام من غفوته وتقدم من السيارة ، وقال فى صوت نعسان :

– أبى ذهب ليصلى الظهر فى البيت وسيعود بعد دقائق .

– وأين البيت . . ؟

– فى هذه الحارة على بعد خطوتين . . تريد منه شيئاً ؟

– أريد أن تذهب وتناديه .

– لا أستطيع . . إننى أحرس الدكان إلى أن يأتى . .

– نسيت أن آتيك بحلوى هذه المرة يا لطفى . . معلهش . . المرة القادمة . . اذهب لتأتى بأبيك وأنا أحرس الدكان إلى أن تجىء . . قل له إن الباشمهندس (سامى عبد الرحمن) ينتظره . . اذهب الآن . . أسرع .

– فقال الغلام فى عناد :

– لا أستطيع أن أبرح مكانى أبداً . . سيضربنى إلى أن أموت إذا أنا تركت الدكان دقيقة واحدة .

وعاد الغلام إلى كرسيه فى مدخل الدكان واستسلم للنوم من جديد . .

ونظر إليه الباشمهندس سامى عبد الرحمن وابتسم ، لأن منظر هذا الحارس النائم الصغير كان يدعو إلى الضحك فعلا . فخلع طربوشه ومضى يجفف عرقه بمنديل وهو يقول :

أمرنا لله . . لننتظر دقائق فلعل صاحبنا يفرغ من صلاته ويعود سريعاً . .

وسبحت به أفكاره . وحملته هموم العمل بعيداً جدًّا عن شارع خيرت ، ثم نظر فى حنان إلى بيت متهالك على ناصية حارة مقابلة للدكان هذا البيت ملكه ، ورثه عن أبيه وفيه نشأ وتربى ، وفى هذه الحارة لعب مع الأولاد ، وفى هذا البيت حصل على بكالوريوس الهندسة ، وبدأ رحلة العمل والتعب التى جعلت منه اليوم – وهو فى الخامسة والأربعين – مهندساً مقاولا مشهوراً كثير الأموال .

ثم انتبه إلى نفسه ونظر إلى ساعته لقد انقضى ربع ساعة عليه وهو واقف أمام هذا الدكان وحارسه اللطيف ، وأدرك أن الأسطى عبد السميع الذى ذهب ليصلى الظهر نعسان الآن فى بيته انتظاراً لأذان العصر بعد ساعتين ليصليه ثم يعود إلى

دكانه . . فقرر الانصراف دون نتيجة .

سار متباطئاً بسيارته وهو يقول :

هكذا تعمل معى يا أسطى عبد السميع . . بعد أن تكلفت المرور بهذا الشارع لأخذ ساعة ابنى ولها عندك شهران تدعنى أصلى هذه النار وأنت راقد فى بيتك تنعم بسلام الملائكة ! والحق أن الأسطى عبد السميع كان – فى رأيه ورأى الكثيرين – أعظم ساعاتى فى مصر ، فليس على وجه الأرض ساعة معطلة أو مختلة أو حتى محطمة لا يستطيع الأسطى عبد السميع أن يعيدها أحسن مما كانت عندما خرجت من المصنع ، وعيبه الوحيد أنه كسول يعمل بحسب مزاجه ، ولكن مهارته كانت تشفع له عن ذلك العيب . ولهذا فقد أتـــاه الباشمهندس سامى عبد الرحمن من شهرين بساعة ابنه السويسرية ليصلحها بعد أن وقعت على البلاط وتحطم الكثير من أجزائها ، والولد يلح على أبيه فى استرجاعها ولكن لا فائدة فإن الأسطى لم يمسها إلا إذا هفه المزاج .

وعندما انحرفت السيارة فى شارع المبتديان فى طريقها إلى جاردن سيتى وجد الباشمهندس شاباً وشابة ذكّراه بابنه وابنته ، وقدر أنهما من طلاب الجامعة كولديه ، وأحس كأنهما يشيران إليه ليتوقف ويحملهما معه وينقذهما من لهب الشمس ، فتوقف وفتح لهما الباب الخلفى فصعدا شاكرين ، وانطلقت السيارة فسأل :

– أنا ذاهب إلى جاردن سيتى فهل أنتما فى طريق ؟

– طبعاً . . متشكرون جدًّا .

– عندما يجىء الموضع الذى تريدان النزول فيه نبهانى . . .

– نحن نازلون قريباً من هنا . . عندما تفرغ من هذا الشارع وتعبر شارع قصر

العينى لتدخل جاردن سيتى ؟ أنزلنا عند الناصية من فضلك .

– بكل سرور . . .

وانصرف عنهما ، وإن ظلت أذنه مصغية إلى ما يدور بينهما من حديث دون أن يميز شيئاً واضحاً . فقد كانا يتحدثان فى همس برغم أن المحاورة بينهما كانت حامية وموضوعها جَدٌّ جدًّا فيما يبدو .

وأنزلهما حيث أرادا ، ورآهما يعدوان عدواً ، فهز رأسه وابتسم سروراً ، لأنه قدّم هذه الخدمة البسيطة لذلك الشباب المتفتح الفياض بالبشر والحيوية . .

ووصل إلى مسكنه الفاخر فى ذلك الحى الجميل ، ووجد زوجته وابنـــه وابنته ينتظرون ، فتغدى معهم على العادة ثم نهض إلى فراشه ليقيل ساعة قبل أن يبدأ جولة المساء من معركة اليوم وكل يوم . .

* * *

بعد الساعة الرابعة بقليل صلصل الجرس فى بيت الباشمهندس سامى عبد الرحمن ، كان غارقاً فى غمرات النوم ، وكذلك كان بقية أفراد الأسرة ، فى المطبخ كان السفرجى والطباخة يتهامسان ، تلك كانت ساعة الحساب بين الاثنين كل يوم ليتقاسما بالصدق والشرف غنائم اليوم التى يجمعانها من سرقات خفيفة من نقود المشتريات التى يقومان بها بدون صدق وشرف ، وصلصل الجرس مرة أخرى ، ونهض السفرجى فى استياء وهو يقول :

ترى من قليل الذوق هذا الذى يأتى هذه الساعة ؟ . .

وقالت الطباخة :

– خلاص الحساب . . لى عندك خمسة وثلاثون قرشاً ، لا بد أن آخذها قبل المغرب . . إننى أعرفك لصًّا وأكّال حقوق . . .

وفتح السفرجى الباب الرئيسى فوجد نفسه أمام ضابط شرطة وشرطيين :
قال ضابط الشرطة :

– منزل الباشمهندس ، مقاول سامى عبد الرحمن ؟

وبهت السفرجى وبلع ريقه مرتين قبل أن يستطيع الكلام ثم قال :

– نعم . .

– موجود ؟

– نعم . . لكنه نائم الآن . . .

فدخل الثلاثة دون استئذان ، ثم تبعهم رجلان يلبسان المعاطف فوق الجلاليب ، واحد منهما يلبس طربوشاً والآخر يلبس عمامة تدور على لبدة ، وقال الضابط :

– اذهب وأيقظه . . نحن من نيابة أمن الدولة . .

– ولم يفهم السفرجى . ودق قلبه دقًّا سريعاً وتلعثم ، وقال وهو يدس النقود المسروقة فى جيبه :

– الآن ؟

فقال أحد الرجلين صاحبى المعاطف :

– أمال بكرة ؟ . . اذهب وأيقظه قبل أن نجره من قدمه . .

ونظر الضابط إلى هذا الشيطان شزراً وقال له :

– تخرس انت يا جحش . . قلت لك ألف مرة تقطع لسانك . . اذهبا أنتما الاثنين وانتظرا عند السيارة . . وخرجا وواحد منهما يقول للآخر :

– هذا ما نأخذه منهم . . نأتيهم بالناس وعناوينهم من تحت طقاطيق الأرض . ثم يعاملوننا معاملة الكلاب . . .

وقال الآخر وهو يشعل سيجارة :

– وهل نحن فى الحقيقة إلا كلاب ؟ . . ما المخبر ؟ . . أليس كلباً من الكلاب البوليسية ؟ ولكنه يعامل معاملة أسوأ لأنه ليس كلباً فى الحقيقة . .

وضحكا بوجوه أبالسة . .

واستيقظت حرم الباشمهندس على الأصوات فوضعت على نفسها روباً ، ثم خرجت تقول فى صوت خافت :

– إيه ؟ . . ما الحكاية يا مدنى ؟ . ماذا هناك ؟ . . .

وقال الضابط :

– لا مؤاخذه يا هانم ، نحن من نيابة أمن الدولة لدينا أمر بأن يأتى معنا الباشمهندس سامى عبد الرحمن إلى نيابة أمن الدولة حالا . .

وكان الابن الأكبر قد صحا من نومه . . وخرج بالبيجاما . كان طالباً بالحقوق ، فقال للضابط :

– لماذا تريدون أبى ؟ . .

– لا نعرف . . لدينا أمر باصطحاب الباشمهندس إلى نيابة أمن الدولة . . هذا كل ما لدينا . .

– وأين ذلك الأمر ؟

– نحن لا نحمل أوامر مكتوبة . . كلمتنا تكفى . . من فضلك . . اذهب لوالدك وقُل له : أن يرتدى ملابسه ويكون معنا فى أقل من عشر دقائق . .

وظهر الباشمهندس على باب غرفة نومه وهو بالروب ، وتقدم نحو الضابط وقال :

– هل أنت متأكد أننى أنا المطلوب ؟ . .

– ألست المهندس المقاول سامى عبد الرحمن مدير شركة المقاولات العامة ؟ . .

– بلى . . أنا هو . .

– إذن فلا شك أنك المطلوب . .

– ألا تعرف لماذا أنا مطلوب ؟ . . .

– لا يا افندم . . إنهم يصدرون لنا الأوامر بإحضار الأشخاص دون أن يقولوا لنا الأسباب . أرجوك أن تسرع لأن وكلاء نيابة أمن الدولة ينتظرونك .

– أين ؟ . .

– فى نيابة أمن الدولة بباب الخلق .

– ففكر الرجل لحظة ثم قال :

– عن إذنكم . . أرتدى ملابسى . .

– المفروض أن آتى بك كما أنت . . ولكن لا بأس . . البس ملابسك . .

ودخل الرجل حجرته ومضى يخلع ملابس البيت ويضع ملابس الشارع ووقفت زوجته تبكى وتقول :

– ليه يا ربى . . ؟ ماذا حصل . . ما نيابة أمن الدولة هذه ؟ . .

ونظر إليها زوجها وهو يلبس البنطلون وقال :

– لا بد أن هناك خطأ . . تأكدى أننى سأكون هنا بعد ساعة واحدة . . إننى بعيدٌ جدًّا عن السياسة ، ومن شهور طويلة لم أجلس فى مكان عام أو أقل كلمة يمكن أن تغضب الحكومة ، كُفِّى عن البكاء يا عنايات . . وفى الخارج . . أى فى الردهة ، قال طالب الحقوق موجهاً كلامه للضابط :

– هذا ظلم . . لا يمكن أخذ رجل من بيته دون إعلانه بالتهمة الموجهة إليه . .

ثم أين أمر النيابة الذى معك ؟ . . أنا فى سنة رابعة حقوق وأعرف القانون جيداً . .

فقال الضابط بهدوء وهو يشعل سيجارة :

– اسمع يا شاطر . . ادخل غرفتك واقفل فمك وإلا أخذتك مع أبيك . .

– هكذا على مزاجك ؟ . .

– أجل على مزاجى . . وإذا قلت كلمة أكثر أريتك أن كل ما فى رأسك من القانون لا يساوى عقب سيجارة كهذا . .

ثم ألقى بعقب السيجارة على الباركيه وداسه بقدمه :

وظهر المهندس سامى عبد الرحمن مرتدياً ملابسه وقال لابنه :

– كفى يا محمود . . لا معنى لهذا النقاش . . حضرة الضابط يؤدى واجبه وهو غير مسئول عن القرارات التى يصدرونها له . . المسألة فيها خطأ . . لا شك فى ذلك . . بعد ساعة على الأكثر سأكون هنا قبل الساعة السادسة على أى حال . . لا تخافوا . .

ثم نظر إلى الضابط وقال :

– هل أستطيع أن أذهب بسيارتى ؟ . .

– لا يا افندم . . الأوامر تقول : أن تذهب معنا فى البوكس فورد .

– أمرك . .

ثم نظر إلى زوجته وأولاده وقال فى ثبات :

– لا تخافوا . . أمسكوا أعصابكم . . سأكلمكم بالتليفون بعد خروجى مباشرة . . ثم اتجه نحو الباب مسرعاً ليخفى تأثره . كان يكره الوداع ولا يتحمله . وقبل أن يخرج من الباب التفت إلى أهله وقال : أرجو ألا يعلم أحد بذلك . . هذا خطأ سأصححه ثم أعود ولا أريد أن يكثر الناس الكلام . . أنتم تعرفون أن ألسنتهم طويلة . .

ثم خرج . .

ومن خلفه خرج الضابط والشرطيان ، ومرت على وجه الضابط ابتسامة صفراء وقال لنفسه :

– ما أغباك يا حضرة الباشمهندس . . تحسب أنك ستكون فى بيتك الساعة السادسة ؟ . . إلى هذا الحد يبلغ جهلك بشغلنا ! . . ألم تحس أنك على باب جهنم وأنك بعد دقائق ستكون فى عالم آخر داخله مفقود والخارج منه مولود ؟ !

وعندما جلس المهندس فى سيارة البوليس كان إلى يمينه شرطى ، وإلى يساره شرطى ، وأمامه جلس الضابط يدخن . وإلى جانب السائق انحشر المخبران صاحبا المعطفين والطربوش والعمامة .

وبينما كانت سيارة البوليس تندفع فى طريقها كالسهم المارق ودون أن تحفل لإشارة مرور استجمع المهندس سامى عبد الرحمن ذهنه وقال يخاطب نفسه :

– أخشى أن أكون قد وقعت فى يد الأبالسة . هؤلاء لا يهمهم عدل ولا قانون ويستوى عندهم الصغير والكبير . وما أظنه الآن خطأ فى الاسم . وقد يكون كذلك وقد يكون أخطر ، ولا بد أن أكون فى غاية الحذر وهدوء الأعصاب حتى أخرج من أيديهم بسلام . .

وارتاحت نفسه وهو يذكر معارفه وأصدقاءه من الوزراء وكبار رجال الدولة الحاليين والسابقين وما لهم من خدمات . . وقال لنفسه :

– ولكن هل يسمح لى هؤلاء بالاتصال بالتليفون ؟ فاتنى أن أطلب إلى عنايات أن تتصل بأمين الخيال محامى الشركة ليلحق بى . . ولكننى أظن أنها ستفعل ذلك من تلقاء نفسها . . وإذا هى لم تفعل فإن أباها (عزمى) باشا لن يقف مكتوف اليدين . . صحيح أنه وفدى ومعارض للحكومة ولكنه رجل ذكى قادر ووزير

سابق ومعارفه كثيرون وعلاقاته طيبة جدًّا برجال السراى .

* * *

ماكادت السيارة تقف عند السلم الرخامى العريض المؤدى إلى الطابق الأرضى من مبنى نيابة أمن الدولة حتى تبين أنه كان واهماً فى تفاؤله . فقد أسرع إلى السيارة نحو عشرة من رجال البوليس وبعضهم يقول فى لهفة :

– هل أتيتم بالمتهم ؟ . . لماذا تأخرتم ؟ . . وكيل سعادة رئيس نيابة أمن الدولة بنفسه ينتظر فى غرفته على أحرّ من الجمر ومعه وكيل وزارة الداخلية . .

ولم يمهلوه ليصعد السلم فى هدوئه المعهود بل دفعوه دفعاً وأحاطوا به . وكان بعضهم يجرى أمامه ليحمل الخبر إلى كبار المحققين المنتظرين فى غرفة الوكيل الأول لنيابة أمن الدولة .

وبرغم ذلك كله فقد عرف كيف يضبط أعصابه ويسير فى ثبات . ورفع يده فعدل طربوشه وأحكم رباط رقبته ، وجعل يذكر نفسه بما قالته له وهو فى السيارة . .

ودخل فى غرفة واسعة فى نهايتها مكتب ضخم عليه جوخة خضراء وأوراق كثيرة وطقم كتابة من الجلد وخلف ذلك المكتب الضخم جلس رجل منتفخ الأوداج مكتنز اللحم يكاد الدم ينبثق من وجهه وفوق ذلك الوجه طربوش داكن اللون تصل قمته إلى حافة صورة الملك المعلقة وراءه . .

ولم يمهل هذا الرجل بأن يقف ليحيى « المتهم » بل تشاغل بالعبث بأصابعه بحبات مسبحة ضخمة من الكهرمان وتنازل وقال :

– اتفضل يا سامى بك . . اتفضل يا باشمهندس . .

وجلس الباشمهندس على كرسى إلى يمين المكتب ، وقبالته جلس وكيل وزارة

الداخلية وهو رجل نحيف ممصوص الجسد كأنه عود قصب معصور ، وكان يضع على عينيه نظارة سوداء تخفى جزءاً كبيراً من معالم وجهه ، كان متجهم الوجه بادى القلق والغضب ، وقال بعصبية .

– يا سعادة الباشا . . ندخل فى الموضوع . .

فابتسم الوكيل الأول ابتسامة كاذبة وقال :

– حلمك يا نور الدين بك . . حلمك . . دع الرجل يأخذ نفسه . . إنه ليس أى إنسان . . هذا مهندس مشهور ومقاول كبير ومدير شركة مهولة .

وقال بابتسامة ذكّرته بريق عينى قطّ يلعب بفأر قبل أن ينقضّ عليه :

– أنتم تبنون عمارة عظيمة قرب بيتنا فى مصر الجديدة . .

– إننا لا نبنى الآن عمارات فى مصر الجديدة . . نحن نبنى مدرسة . .

فضحك سعادة الباشا وقال :

– آه . . فهمت . . كنت أتعجب دائماً من اتساع مساحة المبنى وقلة ارتفاعه . . الآن فهمت . .

أى مدرسة ؟

– مدرسة ثانوية للبنات نبنيها للوزارة .

– ما شاء الله . . ما شاء الله . .

ثم أخرج من جيبه علبة سجاير مصرية « شريف » ومد بها يده إلى المهندس وهو يقول :

– سيجارة . . .

فقال : شكراً يا فندم . . أنا لا أدخن . .

وبينما كان الباشا يقدم سيجارة لوكيل الداخلية قال المهندس لنفسه :

– سيجارة المحقق المعهودة . . أول إنذار بالخطر . . لا تظن أنك تخدعنى بها أيها الخبيث المثقل بالشحم والغباء . .

ثم قال له سعادة الوكيل الأول :

– خذ راحتك يا باشمهندس . . كل ما نريده منك بعض الاستفهامات حول موضوع تلك الجريمة البشعة . . وصكّت عبارة « الجريمة البشعة » رأسه وتمشى فى جسده شعور بالرهبة وقال :

– أى جريمة ؟

– ألم تعلم بعد بالاعتداء على معالى وزير الداخلية ؟ . .

– لا . . لا علم لى بذلك . . متى حدث ؟

فابتسم المحقق عن أنياب نمر وقال فى سخرية :

– البلد كلها تعلم . . وحضرتك تقول : إنك لا تعلم !

– يا سعادة الباشا أنا من الصباح فى مواقع مبانى الشركة ، ومن هناك ذهبت إلى بيتى ، لم أذهب إلى مكتب الشركة اليوم ولم أقرأ أى صحيفة ولا سمعت إذاعة . .

– الجريمة وقعت الساعة الثانية إلا ربعاً بعد ظهر اليوم فكيف تنشرها الصحف ؟

– إذن كيف علمت بها البلد كلها كما تقول سعادتك ؟

– هكذا الأخبار السيئة . . تنتشر من تلقاء نفسها كأن شيطاناً يذيعها . .

ونهض وكيل الداخلية وذهب إلى الوكيل الأول وهمس فى أذنه :

– دولة رئيس الوزراء أمر بحظر نشر الخبر فى الصحف أو إذاعته بالراديو مؤقتاً لأسباب تتصل بأمن الدولة ومصلحة التحقيق . .

وسمع المهندس هذا الهمس بكل وضوح . ولكنه تصنع عدم سماعه وظل ينظر إلى مقعد وكيل الداخلية الخالى . .

وهز الوكيل الأول رأسه وقال للمهندس :

– إذن فأنت لا تعلم عن الحادث شيئاً ؟ . .

– لا . . لم أسمع به . . .

– مع أنك كنت على مقربة من مكان الجريمة وقت حدوثها تقريباً . .

– وأين وقعت هذه الجريمة ؟

– فى شارع الدواوين والمفروض أنك تعرف . .

– لماذا تفترض أنى أعرف ؟

– لأن سيارتك كانت واقفة فى شارع خيرت مدة طويلة قبل الثانية بعد الظهر

– آه . . عند دكان الأسطى عبد السميع الساعاتى . .

– هل تقيم شركتكم مبان فى شارع خيرت بالقرب منه ؟

– لا . . .

– أين موقع آخر مبنى زرته اليوم ؟

– فى شارع شامبوليون . .

– عظيم . . وأنت تقول : إنك ذهبت من آخر موقع مبنى لشركتكم إلى بيتك رأساً . . فهل الطريق من شارع شامبوليون إلى بيتك فى جاردن سيتى يمر بشارع خيرت ؟

– لا . . ولكنى تذكرت وأنا فى الطريق أن ساعة ابنى عند الأسطى عبد السميع للتصليح من شهرين . . وهو يلح على أن آتيه بها . فاتجهت بسيارتى إلى هناك .

– مهندس كبير ومقاول مشهور مثلك يذهب إلى محل ساعاتى فى شارع خيرت الساعة الثانية بعد الظهر ليأخذ ساعة ابنه ! . . هل هذا معقول ؟ . . ولماذا لا يذهب ابنك مثلا أو أى واحد من العاملين الكثيرين فى شركتكم ؟ . .

– سعادتك ربما لا تعرف ، لأننى وُلدت ونشأت فى البيت المقابل لدكان الأسطى إسماعيل ؟ إنه بيت الأسرة ، وهو ملكى . ولى مع الرجل صداقة قديمة منذ كنت طالباً فى الهندسة وأنا أحبه وأمر عليه بين الحين والحين . .

– هل تريدنى أن أصدق هذا الكلام يا حضرة الباشمهندس ؟ . . رجل مثلك يمر الساعة الثانية بعد الظهر بعد يوم مثقل بالعمل بدكان ساعاتى فى شارع خيرت لأنه يحبه وتربطه به صداقة قديمة ؟ . . .

– والله هذه هى الحقيقة . . ثم لماذا أكذب عليك ؟ . .

– فكر قليلا يا حضرة الباشمهندس . . فربما لديك أسباب معينة للوجود بشارع خيرت فى هذا الوقت بالذات . .

– ليس لدىّ إلا ما ذكرت لك ، وأرجو أن تصدقنى . . .

فقال وكيل الداخلية للوكيل الأول للنائب العام :

– يا خيرى باشا لا تتعب نفسك مع هذا الرجل ، لن تخرج منه بشىء ووقتنا ثمين . أقفل التحقيق الآن وحوّله إلى مدير التحقيقات ، وهو يعرف كيف يستخرج الحقيقة . . قل له أن يَكِلَ التحقيق إلى سعد البربرى أو شمس زهران ، كلاهما قادر على استخراج الحقيقة فى أقصر وقت . .

ودق قلب المهندس سامى عبد الرحمن سريعاً . .

شعر أن باب جهنم ينفتح ليقذفوه فيها ويبدأ العذاب . .

وبينما كان وكيل الداخلية يجمع أوراقه نادى الوكيل الأول الشاويش الواقف

على الباب وأمره بأن يصطحب المهندس إلى مكتب الأستاذ توفيق عبد الله مدير التحقيقات . .

وأمسك الشاويش بذراع المهندس وسار به إلى مكتب مدير التحقيقات . . وماكاد المهندس يخرج حتى أمسك وكيل الداخلية بالتليفون وطلب توفيق عبد الله وقال له :

– توفيق بك سيجيئك الآن المهندس سامى عبد الرحمن المتهم فى قضية الاعتداء على معالى وزير الداخلية . .

أريد أن تحيله إلى سعد البربرى أو شمس زهران ، وتطلب منه أن ينتهى التحقيق وتثبت التهمة عليه قبل الساعة العاشرة مساءً ، اعمل كل ما تستطيع . دولة رئيس الوزراء ينتظر قرار الاتهام قبل هذه الساعة ، لا نريد أن تأتى هذه الساعة إلا لدينا متهم ثابتة عليه الجريمة . . أنا ذاهب الآن لوزارة الداخلية . . اتصل بى هناك على رقمى الخاص . وأنت تعرف . . أنا مستعد لكل ما تريد . . إذا جاءت الساعة الثامنة ولم تصلوا معه إلى نتيجة فأرسله إلينا فى وزارة الداخلية . . عندنا ناس لا يخجلون عن شىء . . مصلحتك أن تشرف على التحقيق أنت بنفسك حتى يدرك سعد وشمس مدى اهتمامنا بالموضوع ! فاهم ؟

– اطمئن يا فندم . . اعتبر الاعتراف وقرار الاتهام فى جيبك . . هذه مسألة بسيطة ، دولة رئيس الوزراء سيكون مبسوطاً جداً . .

* * *

تغير المنظر تماماً عندما نقلوا سامى عبد الرحمن من مكتب توفيق عبد الله إلى مكتب سعد البربرى للتحقيق . .

الغرفة التى دخل إليها المهندس مظلمة كأنها تحت الأرض ، يضيئها مصباح

كهربائى بدون غطاء مدلى من السقف ومصباح مكتب قوى على المكتب فى صدر الغرفة . هناك رجل يجلس خلف المكتب لم يتبين سامى عبد الرحمن وجهه لأن نور المصباح كان مسلطاً فى اتجاهه ليغشى بصره . فوق رأس الرجل الجالس إلى المكتب شباك عليه شبكة حديدية ، أحس المهندس أنه لا بد أن يكون فى غرفة تحت الأرض ، لأنه عندما اقترب من المكتب رأى أقداما تروح وتجىء خارج النافذة ، الشاويش ما زال قابضاً على ذراعه بقوة قرد صغير متشبث ببطن أمه . الغرفة حارّة مخيفة ، جدرانها مطلية بطلاء رمادى داكن قذر ، ليس فى الغرفة إلا دولاب حديدى كبير على اليمين ، ودكة معدنية تحتل جانباً كبيراً من الحائط الأيسر ، أمام المكتب جلس رجل كابى الوجه ، على وجهه نظارة سميكة وأمامه منضدة صغيرة عليها أوراق ، لا بد أن هذا هو الكاتب . هناك نفر آخر من الناس بعضهم رجال شرطة ورجال فى ملابس مدنية ، مع رجال الشرطة ضابط . .

ووقف أمام الضابط المحقق سعد البربرى ، وتركه الضابط واقفاً والشرطى ممسك بذراعه وتظاهر بقراءة بعض الأوراق وأخذ يقلبها ثم يعود إليها ، وانقضت على ذلك عشر دقائق والمكان يسوده الصمت انتظاراً للأمر الإلهى الذى يصدر من فم سعد البربرى . أخيراً . . ترك أوراقه ورفع رأسه ونظر إلى المهندس طويلا ثم قال للشرطى :

– مالك ممسكاً به هكذا يا شاويش ؟ . .

– منتظر أمرك يا حضرة الضابط . .

– اتركه . .

ثم قال للمهندس :

– اجلس يا باشمهندس . . اجلس . .

وجلس فإذا نور المصباح فى وجهه فغشى بصره فقال للضابط :

– تسمح حضرتك . . إذا أمكن تخفض هذا المصباح إلى أسفل . .

– إنه مكسور . . لا أستطيع تحريكه إلى أسفل . .

– إذن إلى اليمين قليلا أرجوك . .

– دعنا الآن من المصباح . . واحك لى كل ما فعلت اليوم منذ خرجت من بيتك . . ومد يده بعلبة سجائر وقال :

– سيجارة . .

– لا أدخن . . وأرجوك مرة أخرى أن تبعد عن وجهى هذا المصباح . .

فضحك الضابط وقال :

– هذا هو الذى يضايقك ويمنعك من الاعتراف ؟ ها هو ذا . . ثم أطفأ المصباح فتبين المهندس أن وجهه لطيف لا شيطانية فيه فاطمأن قليلا . . ثم أخرج منديلا وأخذ يمسح عرقه . . وفى أثناء ذلك عاد يحدث نفسه يقول :

– هذا يبدو عليه أنه ليس شريراً أصيلا وإنما هو شرير بالحرفة فقط . . فلأحاول أن أمتلك نفسى ولسانى . . أنا لم أفعل شيئاً ولا علاقة لى بحادث الاعتداء الذى تكلم عنه الباشا هناك . . ثم إن هذا الضابط الجالس أمامى لا يمكن أن يكون أذكى منى . .

ونبهه الضابط من جديد من حديثه الذى كان منصرفاً إليه وقال :

– فيم تفكر ؟ . . أنا لا أحب أن يفكر الناس قبل أن يجيبوا . . بمجرد أن أفرغ من السؤال أرجو أن تبدأ فى الجواب . . هه . . تكلم الآن وقل لى بالتفصيل ماذا فعلت اليوم منذ فتحت عينيك . . أريد أن أعرف كل شىء وحتى المكالمات التى تلقيتها أو طلبتها . .

وبكل هدوء قص عليه كل شيء وببساطة ودقة تامتين . وكان الكاتب يكتب كل كلمة وعندما فرغ من كلامه ابتسم الضابط وقال :

– سأطلب لك فنجان قهوة لأنني أريدك أن تستريح قليلا لتجيبني بكل دقة على الأسئلة التي سألقيها عليك . .

وأتى فنجان القهوة ، أسوأ قهوة في الوجود ، وأخذ منه رشفة ، وقال للضابط :

– إذن فأنت بعد تعب الصباح كله وهذه المناقشات مع المهندسين والعمال ، والساعة بعد الثانية بعد الظهر وجدت لزاماً عليك أن تعرج على شارع خيرت لتأخذ ساعة ابنك ؟ . .

– هو هذا بالضبط . . لأنه طلبها مني مراراً وقد وعدته بأن آتيه بها هذا الأسبوع . .

– ولماذا لا يذهب هو ؟ . . هل يخاف الذهاب إلى شارع خيرت مثلا ؟ . .

– لا . . ولكن هذا هو الذي حدث . . حكيته لك بكل صدق . .

ثم التفت الضابط إلى العدد الكبير من الناس الموجودين في الحجرة وقال :

– ماذا تعملون هنا يا تنابلة السلطان ؟ . . اخرجوا جميعاً . . هذا تحقيق سري . . لا أريد أن تخرج من أفواهكم كلمة مما سمعتم . . شاهين وعباس . . انتظرا خارج الباب رهن أي إشارة يا شاويش عبد الباري ، أقفل الباب وقف عنده هنا في الداخل . .

وتم تنفيذ كل ما أمر به الضابط . . ثم سمع المهندس حركة عند الباب وأقبل الشاويش عبد الباري يقول :

– المحامي عبد الجواد الفنجري على الباب يا فندم . . يريد أن يدخل . .

– دعه يدخل . .

والتفت إلى المهندس وقال :

– هذا محام اتخذ مكانه هذه الإدارة . . إنه رجل طيب يرتزق بهذه الطريقة . . كثيرون من الناس يحبون أن يكون معهم محام فى أثناء التحقيق . . هذا ينفعهم كثيراً . . ونحن لا نمانع فى ذلك ، لأننا نريد للمتهمين أن يطمئنوا إلى أننا نعاملهم بمنتهى العدالة . .

فقال المهندس :

– ولكن يا حضرة الضابط . . أنا لست متهماً . .

– وفجأة كان المحامى إلى جانبه وقال موجهاً كلامه إلى الضابط :

– عنده حق يا حضرة البكباشى سعد . . عنده حق . . إنه ليس متهماً . . ليس متهماً بعد أقصد . .

فنظر الضابط إلى المهندس وقال : آه صحيح عندك حق . . آسف . . العفو . . العفو . . هذه نقطة هامة أردت أن أوجهها لمصلحة موكلى . . ثم أخرج من حافظة أوراقه ورقة ناولها المهندس وقال :

– إمضاء صغير فقط . .

فنظر إلى الورقة وقرأ فى أعلاها على اليمين عبد الجواد الفنجرى محام أمام الاستئناف العالى ، وفى وسط السطر بعد ذلك عنوان كبير توكيل ، ثم تلت ذلك عبارة التوكيل القديمة المعروفة عند المحامين وفى نهايتها ، إمضاء الموكل .

ثم نظر المهندس إلى هذا الإنسان الواقف أمامه فهاله منظره . . كان ضخم الجسم ذا وجه عريض سمين وشارب كثير الشعر ولكنه مقصوص الطرفين جيداً ، فبدأ كأنه طابع بريد ملصق بين الأنف والفم ، وكان شعر رأسه كثًّا جعداً يسترسل

بسالفين طويلين على الصدغين ، ولم تكن لحيته جيدة الحلاقة ، فبدا شعره على معظم وجهه كأنه شوك ، وكان يرتدى بذلة هى أشبه بزكيبة ، وقميصاً اشتد شوقه إلى الغسل والكىّ ، يتدلى من ياقته الشعثاء رباط رقبة أشبه بحبل الغسيل . .

وعاد المهندس إلى الورقة فقال المحامى وهو يبتسم بملء وجهه :

– هذا توكيل صغير . . أرجو أن توقع حتى أستطيع أن أدافع عنك منذ الآن . .

سعادتك ترى أننى تركت موضع الأتعاب بياضاً . . أترك هذا لتقدير سعادتك . . هأنذا قد رأيت كيف أننى ألمح كل ما فيه مصلحة عملائى . . وقّع ولا تخف . .

فنظر المهندس إلى المحقق وقال :

– ما هذا ؟ . . هل هذا هو الإجراء المتبع هنا ؟ . .

– ليس مع كل الناس . . أنت شخصية كبيرة ولهذا فإننى لا أمانع فى أن يكون لك محام منذ الآن الأستاذ الفنجرى محام ماهر . . ولكن الأمر متروك لك . .

– إننى أفضل أن يحضر محامى شركتى . .

فقال الأستاذ عبد الجواد الفنجرى محتجًّا :

– محامى الشركة ؟ . . وهل محامى الشركات يفهم فى الجنايات ؟ . . الجنايات السياسية اختصاص دقيق لا يجيده إلا القليلون ومحسوبك منهم . . مصر كلها تعرف ذلك . . سل سعد الدين بك البربرى ينبئك أننى أخرجت العشرات من نار جهنم . .

وابتسم الضابط وقال :

– دعه يا أستاذ فنجرى إذا كان لا يريد . .

وقال المهندس :

– كنت أحسب أنى لست فى حاجة إلى محام . فأنا لست متهماً بشىء . .

فصاح الفنجرى :

– يا خبر أسود . . لست متهماً بشىء ؟ . . هو . . هو . . صح النوم . . أنت متهم فى جريمة سياسية يا حضرة . . جريمة خطيرة . . خطيرة جدًّا . .

فأفلت الزمام من المهندس وصاح :

– ما هذا الهراء الذى تقول أيها الرجل ؟ . . هل أنت معى أو علىّ ؟ . . تقول هذا الكلام وتزعم أنك تدافع عنى ؟ . .

فازدادت ابتسامة المحامى عرضاً وقال :

– لا مؤاخذة . . لا مؤاخذة يا سعادة الباشمهندس . . لم أقصد ذلك . . إنما أنا فقط رجل عندى خبرة . . خبرة سنوات . . وأعرف هذه المسائل وأريد أن أساعدك . .

وبينما كان المحامى يتكلم عاد المهندس إلى حديث نفسه :

– ماذا فعلت أيها الغبى ؟ . . كيف أفلت الزمام منك بهذه السرعة ؟ . . هذا مندوب مخابرات معهم يزعم أنه محام لكى يساعدهم على إلباسك التهمة . . كن هادئاً أيها الرجل واملك أعصابك دعه يقول ما يريد ولكن لا توقع هذا التوكيل . . ولكن لمَ لا أوقع ؟ . . المهم ألاّ أقول شيئاً يدينى . . وكلامه لا يربطنى بشىء . . لا . . الأحسن ألاّ أوقع . . كل شىء إلاّ التوقيع وقطع عليه المحامى حبل أفكاره . وقال وهو يضع الورقة أمامه :

– لا داعى للتوقيع . . هذا أحسن لى . . سأدافع عنك دون أن توقع ، وفى النهاية ستعرف قدرى وفائدتى وستضع فى هذه الخانة الرقم الذى يرضى ذمتك . .

اتفضل يا حضرة الضابط . .

ونظر إليه الضابط وقال :

– موافق على أن يقف إلى جانبك ؟ . .

– ليقل ما يشاء . . أنا غير مرتبط معه بشيء . .

وقال الفنجرى :

– هكذا ؟ الله يسامحك . . كلهم يقولون ذلك أول الأمر ، ثم يشكرون الله على أنه أرسل الفنجرى إليهم فى وقت الشدة . . والله ماكنت أريد أن آتى إلى الإدارة اليوم . . كانت عندى قضايا فى الوايلى وشبرا وروض الفرج وامبابة وعابدين . . ولكن قلبى قال لى : اذهب إلى باب الخلق يا ولد يا فنجرى هناك متهم برىء فى حاجة إليك . . وهكذا وكتاب الله . . وليس لك علىّ يمين . . .

وقال الضابط :

– كفاية يا فنجرى . . كفاية . .دعنا نرى شغلنا . .

– حاضر يا فندم . . سكت . . اتفضلوا . . اتفضلوا . .

واعتدل الضابط فى مجلسه ، ونظر إلى ساعته وقال :

– الساعة السادسة والنصف . . علينا أن نسرع قليلا . . شوف يا باشمهندس . . عندى بضعة أسئلة صغيرة أريد توجيهها إليك . . أنا مستعد لتصديق معظم ما قلت . . ولكن حكاية الساعاتى هذه لا تعجبنى . .

– ولا مؤاخذه يا حضرة الضابط . . وما أهميتها ؟ . .

– أهميتها أنك كنت واقفاً بسيارتك دون مبرر واضح على نحو ثلاثمائة متر من مكان الجريمة ، ثم تحركت بسيارتك فى اتجاه شارع المبتديان ، وفى أوله أخذت فى سيارتك شاباً وشابة كانا فى انتظارك . .

فبدت الدهشة على وجه المهندس وقال :

كانا فى انتظارى ؟ ! من قال ذلك . .

– حلمك يا باشمهندس . . انتظر إلى أن تسمع بقية كلامى . . وهذان الشابان يرجح أنهما هما اللذان ارتكبا الجريمة . . لقد شاهدهما الناس . . الشاب أطلق الرصاص . . والبنت كانت تغطيه . . عندنا شهود على ذلك . .

ستراهما بعد قليل . .

– لا أريد أن أرى أحداً . . أنا لا علاقة لى بهذا الموضوع . .

– انتظر حتى أفرغ . . وعندما وصلا إلى ناحية شارع المبتديان توقفا عن الجرى . . ثم سارا متصنعين الهدوء . . وكانا يتلفتان باحثين عن شىء . . وهنا أتيت أنت وأخذتهما فى سيارتك وأسرعت بهما وأنزلتهما فى ناحية جاردن سيتى وقصر العينى على عشرة أمتار من رقم ٦٨ شارع قصر العينى فى الدور الرابع من ذلك البيت فى الشقة ٦٩ المقر السرى لجمعية اليد الحمراء التى يغذيها حزب الوفد . .

ما رأيك فى هذه الوقائع ؟ . .

ولم يبد على المهندس أن ذلك أزعجه . بل ظل يفكر فى هدوء .

ونظر إلى وجه الأستاذ عبد الجواد الفنجرى فرآه واجماً وقد بدت عليه بلاهة الدنيا ، فتركه واعتدل فى مجلسه وقال للمحقق :

– سأرد على كل هذه الوقائع وأرجو أن تصدقنى ، أما مسألة وقوفى عند محل الأسطى عبد السميع فقد شرحتها قبل ذلك .

– اسمح لى أن أقول لك : إن الأسطى عبد السميع قرر أنه لم يرك اليوم . .

– سبق أن ذكرت أننى لم أجده فى محله ووجدت ابنه الصغير . .

– لطفى ؟ . . هذا الولد قرر أنه لم يرك . .

– مستحيل . . إن الأطفال لا يكذبون . . أرجو أن أراه لتتأكد . .

– غير ممكن . . أخشى أن تهدده أو يخاف منك . .

– كيف أهدده لماذا ؟ . . ثم لماذا يَخافُنى وهو يعرفنى من سنوات ، وقد أعطيته نقوداً وحلوى أكثر من مرة . . وقد تكلمت معه اليوم . .

– هذا هو الواقع . . لقد أخذنا أقوال الصبى بكل صعوبة . . كان يبكى بكاءً شديداً . . وحرام أن نأتى به هنا . . هذا طفل يا باشمهندس . .

وهنا فقط فتح الله على الأستاذ عبد الجواد الفنجرى بالكلام فاندفع يقول :

– هكذا تكون الإنسانية . . هذه هى المعاملة الرحيمة . . انظر يا حضرة الباشمهندس ! . . ألم أقل لك إنك مع أعدل المحققين . . الله يطول عمرك ويعمر بيتك ويخليك للعدالة يا سعد بك يا بربرى . . .

فنظر إليه المهندس دَهِشاً وقال :

– هذا هو كل ما فتح الله به عليك يا أستاذ ؟ . . بدلا من أن تساعدنى على رؤية لطفى عبد السميع لكى تسمع كلامه تدافع عن حرمانى من إثبات صحة ما أقول . . .

فقال الفنجرى !

– يا سعادة الباشمهندس . . هذا طفل وشهادته لا أهمية لها . . وسأعرف كيف أثبت بطلانها فى دفاعى . . ولكن ألا ترى معى أن سعادة المحقق فى غاية الإنسانية والرحمة ؟ . .

– يا أستاذ فنجرى . . سعادة المحقق ليس فى حاجة إلى مديحك . . كلنا نعرفه جيداً . . أحسن لك أن تنتظر حتى تسمع ما أقول ثم لك أن تتكلم . .

فقال المحامى :

- ولا مؤاخذة . . ولا مؤاخذة . . اتفضل اتكلم . .

فنظر الضابط إلى الكاتب وقال :

– لا تكتب الكلام الفارغ الذى يقوله الفنجرى . .

فهز الفنجرى رأسه وقال مستنكراً :

– كلام فارغ . . سعادتك تقول إن كلامى كلام فارغ ؟ . . شوف يا حضرة الباشمهندس الإهانات التى أتلقاها فى سبيلك . . معلهش . . فى سبيل العدالة يهون كل شىء . .

وعاد المهندس يقول :

– أما مسألة هذا الشاب وهذه الشابة فصدقنى يا حضرة الضابط عندما أقول لك إننى لم أرهما قبل ذلك وأنا رجل عندى ولد وبنت مثلهما ، ورأيتهما فى الشمس فى الحر الشديد ينتظران من يحملهما من الطريق فتوقفت وأخذتهما لأنهما فى طريق . . ولا علم لى إطلاقاً بشىء يسمى اليد الحمراء . . لا صلة لى بالسياسة من أكثر من عشر سنوات . .

– ولكنك كنت وفَدِيًّا قبل ذلك وكنت نائباً للوفد عن بلدك بلقاس . .

– هذا تاريخ قديم يا سيدى الضابط . . وقد رأيت من فساد السياسة والسياسيين ما جعلنى أطلّق السياسة تماماً ، ومنذ أنشأنا شركتنا سنة ١٩٤١ لم تعد لى أى صلة بالسياسة . .

ولكنك صديق محمد الكردانى عضو الهيئة الوفدية وأنت تبنى له عمارة . .

– هذا رجل بلدياتنا وهو نسيبنا ، ثم إننا لا نسأل عن الانتماء الحزبى لعملائنا . . نحن نبنى لمن يعهد إلينا عملا . . ولدينا الآن مُقاوَلتان للحكومة وهى ليست وفدية كما تعلم . .

– وبينك وبين فهمى سليم باشا خصومة وقضايا وأنت تعرف أنه أخو وزير الداخلية وعضو فى حزب الأحرار الدستوريين وخصم للوفد . .

– هذه قضية مدنية ليس لها أى مغزى سياسى . . بنينا له فيلا فى الهرم وسلمناها له ، وبقى لنا عنده ألف وثمانمائة جنيه ، وهو لا يريد أن يدفع بحجة أننا خالفنا العقد . . هذا شىء عادى جدًّا . .

– عادى جدًّا ؟ . . صداقة وفديين وعداوة لغير الوفديين . . وتحمل شابين اعتديا على وزير الداخلية إلى قرب مقر جمعية اغتيالات سرية . . ثم ترى ذلك كله شيئاً عاديًّا ؟ . .

فتدخل الأستاذ عبد الجواد الفنجرى وقال :

– لا مؤاخذة يا حضرة الضابط هذه كلها افتراضات لا تثبت معها أى إدانة . . ولكن هناك نقطة واحدة يمكن أن تؤخذ فى الاعتبار . . مسألة أن (فهمى سليم) خصم موكلى أخ لوزير الداخلية المعتدى عليه . .

فقال المهندس مقاطعاً :

ما هذا الكلام يا حضرة المحامى ؟ . . ماذا تريد بقولك إن علاقة الأخوة التى تربط وزير الداخلية بخصم شركتنا فهمى سليم نقطة يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار ؟ . . إن (فهمى سليم) باشا ليس عدونا ولا أكن له أى عداوة . . إنه خصم لى فى قضية مدنية ولكننا أصدقاء وعندنا معه جلسة صلح يوم الخميس القادم فى محكمة الجيزة . .

فصاح المحامى مستنكراً :

– لا لا يا حضرة الباشمهندس . . لا تحضر هذه الجلسة ولا ترسل أى أحد من

طرفك . . هذا يؤخذ دليلا ضدك . .

– أى دليل يا حضرة المحامى ؟ . . هذه الجلسة محددة . . كان محامينا ومحاميه يتفاوضان على قسمة البلد نصفين ونتراضى ونُصفِّى القضية . . وفهمى باشا وافق عن طريق محاميه على أن يدفع ١٥٠٠ جنيه وتنتهى القضية . .

– أنا أحذرك من محضر الصلح هذا . . هذا تصرف غير سليم . . ممكن أن يؤول على أنه محاولة منك لتغطية الجريمة التى أنت واقع فيها . .

فقال المهندس محتجاً :

– أى جريمة أنا متهم بها أيها الرجل ؟ . .

فقال المحامى وهو يهز رأسه :

– ألم تر إلى الآن أنك غارق إلى رقبتك فى تهمة يمكن أن تلقى بك فى جهنم ؟ . . ألم تر القرائن القوية التى سردها حضرة المحقق ؟ . . ألم تحس بعد بهول الموقف الذى أنت فيه ؟ . .

فذهل المهندس عندما سمع هذا الكلام من المحامى . . لكنه امتلك نفسه وعاد إليه حديث النفس بضع ثوان :

– الآن تبيّن أنه جاسوس . . لابد أن أكون على أشد الحذر منه . . ولا ينبغى أن أنفعل . . إننى مغفل إذا انفعلت أو فقدت أعصابى . .

وقال المحامى . .

– هل فكرت الآن وعرفت أين أنت ؟ . . ولكن لا تخف ، فمادام عبد الجواد معك فلا خطر على الإطلاق ، إننى متخصص فى مثل هذه القضايا الميئوس منها . .

ثم أخرج التوكيل من حافظته ووضعه أمام المهندس وقال :

– ألا تريد أن توقع الآن ؟ . .

فقال المهندس بهدوء :

– انتظر قليلا يا أستاذ عبد الجواد السمكرى . .

– الفنجرى . .

– صحيح . . الفنجرى . . آسف . .

ثم التفت إلى المحقق وقال :

– مع احترامى لكل ما قلت فإننى لا أجد قرينة واحدة تؤيد ما تذهب إليه ، فأنا لم أسمع بموضوع الاعتداء إلا من سعادة الوكيل الأول لرئيس نيابة أمن الدولة . . وهذان الشابان ما رأيتهما فى حياتى إلا ساعة أن كانا فى شارع المبتديان ، وحملتهما فى سيارتى من باب الإنسانية . . وقد سبق أن حملت فى سيارتى كثيرين من مصر الجديدة إلى القاهرة . .

– لماذا . . هل أنت صاحب جمعية برٍّ وإحسان ؟ . .

– لا . . ولكن . . ما الضرر فى أن تحمل مواطناً فى سيارتك لتنقذه من الحر الشديد والانتظار الطويل ؟ . . .

– نحن هنا لسنا نتبادل الأفكار . . نحن هنا أمام وقائع . . ولم تستطع أنت أن تنفى منها واحدة فقط . . فهل لديك أقوال أخرى قبل أن أصدر الأمر بحجزك تحت ذمة التحقيق لمدة أربعة أيام ؟؟.

فأحس المهندس بالخوف لأول مرة . . فهذه الأيام الأربعة مقدمة لأربعة عشر يوماً تتكرر بعد ذلك سنوات وقد تنتهى بحبل المشنقة . . وبدا عليه الانزعاج . .

فقال المحقق بهدوء :

– لا تنزعج يا حضرة الباشمهندس . . نحن هنا لا نتسرع فى إصدار هذه

الأوامر . . نحن نعطى الناس فرصة كاملة ليقولوا ما يريدون . . هل عندك شىء تقوله ؟ . .

فقال المحامى ؟

– الله يعمر بيتك يا سعد بك يا بربرى . . كذا يكون العدل . . باسم موكلى أشكرك . . والآن يا حضرة الباشمهندس تسمح لى أن أتكلم نيابة عنك . .

ونظر إليه المهندس فى صمت فتشجع ومضى يقول موجهاً الكلام للضابط :

– صحيح أن كل الوقائع التى ذكرتها سعادتك ثابتة ولكنها لاتدين موكلى . . فنحن مثلا لا نستطيع أن نؤكد أنه ذهب إلى شارع خيرت عمداً فى هذا الوقت بالذات . . ولم تكن سيارته هى السيارة الوحيدة فى الشارع ولا هى كانت السيارة الوحيدة التى انحرفت فى شارع المبتديان . .

فقال الضابط :

– ولكنها كانت السيارة الوحيدة التى أخذت الشابين المتهمين بالاعتداء على وزير الداخلية . .

– لم يثبت بعد يا سيدى المحقق أن هذين الشابين هما اللذان قاما بالاعتداء . .

– وإذا ثبت ؟ . .

– فى هذه الحالة . .

فاندفع المهندس يقول للمحامى مقاطعاً :

– ماذا تريد أن تقول يا أستاذ ؟ ما علاقتى أنا بهذين الشابين ! حتى تقول : فى هذه الحالة . . ماذا تريد بذلك ؟

يا ناس . . بدلا من أن تضيعوا وقتكم مع رجل برىء . . ابحثوا عن هذا الشاب وتلك الشابة . . وما دمتم تعرفون أنهما عضوان فى جمعية اغتيالات سرية

فكيف يعسر عليكم القبض عليها ؟

– ومن أدراك أننا لم نقبض عليها ؟ . .

فقال المحامى :

– يا خبر أسود . . رحنا فى داهية . .

فصاح فيه المهندس :

– ماذا تقول ؟ . . أرجو أن يكونوا قد قبضوا عليها . . لكى تتضح الحقيقة وأستطيع الخروج من هنا . . أرجوك يا حضرة المحقق أن تأتى بها ليواجهانى ولتعرف الحقيقة . .

– صبرك . . صبرك يا باشمهندس . . لماذا تتسرع ؟ . . إنهم يحققون معها الآن فى مكان آخر . . انتظر . .

ثم رفع سماعة التليفون وأدار رقماً وقال :

– شمس بك . . مساء الخير . . كيف الحال . . هل أقر الولد والبنت بشىء ؟ . . بكثير جدًّا ؟ . . ثبت الآن أنهما هما الفاعلان ؟ . . عظيم . . وهل ثبت أن لها علاقة بالمهندس سامى عبد الرحمن ؟ . . مؤكد ؟ . . ومتى تنتهى من التحقيق معها ؟ . . بعد ساعتين ؟ . . عظيم . . أنا أواصل العمل هنا . . كلمنى عندما تنتهى من التحقيق اليوم

ثم وضع السماعة . . ونظر إلى المهندس وقال :

– جاءك كلامى ؟ . .

وعاد حديث النفس :

– يا خبيث والله ما عثرتم عليها ولا على أثرها . ولكنك لئيم تريد أن تخيفنى . . إننى أعرف ألاعيبكم وأفاق على صوت المحقق يقول :

– فيم سبح بك خيالك ؟ . . إلى هذا الحد بلغ بك الخوف ؟ . .

فاندفع المحامى يقول :

– عنده حق يا سعادة البك . . رجل ضاقت عليه السبل على هذا النحو حقيق بأن يخاف . . ألم يذكر لك شمس بك بماذا اعترف الشابان ؟ . .

– اعترفا بالكثير . .

– ولهما علاقة بالمهندس ؟ . .

– طبعاً . .

– يا ساتر يارب . . اللهم نجنا . .

ثم نظر إلى المهندس وقال :

– لا تخف ! . . لا تخش شيئاً ! . . مهما كان عمق الهوة التى وقعت فيها فسأخرجك بإذن الله . .

لقد أخرجت الكثيرين قبل تنفيذ حكم الإعدام بدقائق . .

ثم مد سبابته فى وجه المهندس واستطرد يقول :

– وكتاب الله . .

– فقاطعه المهندس بهدوء قائلا :

– لا تحلف بكتاب الله من فضلك . . قلت من بادئ الأمر إنك تعمل على تَسْوِيء مركزى . . أرجوك أن تسكت تماماً لأننى أستطيع أن أتحدث عن نفسى . . أنا رجل بعيدٌ جداً عن ذلك الموضوع وسأعرف كيف أخرج منه لأن رجال العدالة لا يرضيهم أن تلصق بمثلى تهمة باطلة . . فقال المحامى فى تصميم غريب :

– وحدك يا أستاذ لن تستطيع الخروج . . إن خيوط الشبكة حولك تضيق دقيقة بدقيقة فهاهما هذان الشابان قد تم القبض عليهما وتكلما . . فماذا تقول ؟ . .

– هل رأيتهما مقبوضا عليهما ؟ . . هل سمعتهما يتكلمان ؟ . .

– سعادة المحقق قال ذلك . .

– سعادة المحقق يبحث عن الحق ، وهو لم ير الشابين ، ولكن قيل له ذلك على التليفون . .

– تريد أن تقول : إنّ البكباشي (شمس) لم يقل الحق ؟ . .

– هؤلاء يا حضرة المحامي الذكي محققون بارعون لهم تجارب في هذا الميدان ، وهم يحفرون للذكي مثلك حفرة لكي تقع فيها وتقر على نفسك إذا كنت مذنباً حقيقة . . ولكنني رجل بريء يا سيد فنجري ولا علاقة لي بهذه التهمة إطلاقاً . ولذلك أؤكد أن هذين الشابين ، حتى إذا كانا قد قبض عليهما لم يقولا شيئاً يمسني ، لأنه لا يوجد بالفعل أي شيء يمسني على الإطلاق .

. ورد المحامي قائلا :

– يا حضرة . . كونك مهندساً كبيراً لا يمنع اتهامك . . وتأكيدك أنك بعيد عن هذه التهمة لا يقتنع به إلا أنت . . وتلميحك إلى سعادة شمس زهران بك يمس هيئة المحققين ويمكن أن يؤدي بك إلى داهية . . أتفهم ؟ . . داهية ! . .

– أهذا كلام يا حضرة المحامي ؟ الأستاذ المحقق لا يوجه إليّ تهمة وأنت توجه إليّ مائة تهمة ثم تزعم أنك تدافع عني ؟ . . أرجو أن تدعني وشأني . . أرجوك . . وهنا سُمِعَ نقرٌ على الباب ثم دخل شرطي وسار في خُطى عسكرية وقف أمام المحقق وقال :

– شهود الإثبات وصلوا يا فندم . .

– أدخلهم . .

– ثم نظر إلى المهندس وقال :

– امتلك أعصابك يا حضرة الباشمهندس . . لقد تركتك تتكلم كما تريد . . والآن سنرى بالبراهين القاطعة أن كل شكوكنا فيك كانت على حق . .

وقال المحامى وهو يهز يده اليسرى فى عنف وقد قبض أصابعها ، إلاّ السبابة ، تركها حرة لتضرب على بقية الأصابع وقال :

– وهل فيها شهود إثبات أيضاً ؟ . . اتفضل يا أخى اتفضل . . دافع عن نفسك وحدك . . أما أنا فأقعد على هذه الدكة وأتفرج . .

– ثم جلس على الدكة المعدنية إلى جانب الحائط وشبك ذراعيه وأخذ يهز ساقه فى عصبية وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء جدًّا . .

ودخل الشرطى وقال : الشاهد محمود عبد ربه . .

ودخل رجل بلدى رث الهيئة وسار من خلفه الشرطى حتى وقف أمام المحقق وقال :

– أفندم . .

– اسمك ؟ . .

– محمود عبد ربه

– مهنتك ؟ . .

– خضرى . .

– عندك دكان أم تبيع على عربة ؟ . .

– لا هذا ولاذاك . . على الأرض . .

– تحلف أنك تقول الحق . .

– ثلاثة بالله العظيم ومقام السيدة والحسين أقول الحق . .

– هل تعرف أحداً هنا ؟ . .

فالتفت إلى المحامى وقال :

– أعرف الأستاذ الفنجرى . .

فانتفض الفنجرى واقفاً وقال فى انزعاج :

–كيف تعرفنى يا رجل يا مخرف ؟ . .

– أنت زبونى يا أستاذ ولا تشترى الخيار إلاّ منى . .

– أنا لا أشترى الخيار من على الأرض . . ثم إن حضرة الضابط لم يسألك عنى . . يريد سعادته أن يسألك : هل تعرف هذا البك الجالس أمامه ؟ . .

فقال المحقق ضاحكاً :

– أنا لم أسأل عن رجل معين . . سألته إن كان يعرف أحداً هنا فتعرف عليك . .

وما دخلى أنا بالموضوع يا سعد بك ؟ . . أنا المحامى

– ولو . . ألا يمكن أن يكون المحامى متهماً فى قضية ؟ . .

فانزعج الأستاذ الفنجرى انزعاجاً شديداً وقال :

– أنا متهم ؟ ! . . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . أجىء لمعونة متهم فتريدون أن تضعوا الحديد فى يدى ؟ !

قال المهندس :

– ومالك انزعجت إلى هذا الحد يا أستاذ ؟ . . ألا تكون المتهم ونحن لاندرى ؟ . . فوجه الأستاذ الفنجرى الكلام إلى المحقق وقال :

– يا سعد بك الله يعمر بيتك . . أنت تعرفنى وترانى هنا كل يوم وتعاوننى فى كسب رزقى . تكلم أرجوك . .

فتركه المحقق . . والتفت إلى الشاهد وقال :

– قل لنا يا محمود . . هل تعرف البك ؟

وأشار إلى المهندس . . فالتفت محمود عبد ربه إلى حيث أشار المحقق وقال :

– آه . . صحيح . . العتب على النظر . . يا بيه . . حضرته هو الذى كان فى السيارة . .

– أى سيارة ؟ . .

– سيارة سوداء كانت تحوم بعد الظهر فى شارع خيرت . . رائحة غادية . .

– الساعة كم تقريباً ؟ . .

– بالضبط بعد الجريمة بعشر دقائق . .

– يعنى الساعة كم كده ؟ . .

– قل الساعة اثنين . . اثنين ونصف . .

– ظل طول الوقت ذاهباً آتيا بسيارته ؟ . .

– نعم يا بيه . . وبعد ذلك وقف أمام دكان ساعاتى وكان ينظر فى ساعته كل دقيقة . .

– ولم يتكلم مع الساعاتى ؟ . .

– لا . . لم يخرج من سيارته ولا كلم أحداً . . ثم نظر إلى ساعته نظرة أخيرة وانطلق بالسيارة .

– وكيف أتيح لك أن تشاهد هذا كله ؟ . .

– أنا جالس بالخيار على الأرض كل يوم غير بعيد من محل الأسطى عبد السميع . .

– هل تعرف غير ذلك ؟ . .

– لا يا بيه . .

– إذن تفضل وقع أو ابصم وانتظر خارجاً . .

وبعد أن خرج الرجل أراد المهندس أن يتكلم فقال المحقق :

– انتظر حتى نسمع بقية الشهود . ثم رد مرة واحدة . .

– كنت أريد أن أناقش الشاهد . .

– هذا مكانه فى المحكمة فيما بعد . . نحن الآن نجمع أدلة الاتهام . .

– ثم نادى الشرطى الواقف عند الباب وقال له :

– الشاهد الثانى . .

– وعاد المهندس إلى حديث النفس :

يبدو أنهم أحكموا أمرهم واستعدوا بجيش من شهود الزور . . ولكن لا تخف . . مادمت بريئاً فلا تخف ومرت بخاطره فى سرعة البرق صور مزعجة عن المحاكمات والاتهامات والتعذيب لاستخراج الاعترافات والعسكرى الأسود ونفخ البطن والكرباج والنوم على البرش والبلاط . .

وانفتح الباب ودخل أفندى أقرب إلى المتسولين فى هيئته ، دخل يسير ذليلا وراء الشاويش حتى وقف أمام المحقق .

وانصرف الشاويش عائداً إلى موضعه . فنظر المحقق إلى الرجل وقال :

– اسمك ؟ . .

– محسوبك على البرعى . .

– شغلتك ؟ . .

– تاجر أقلام حبر . . أقف بفاترينه على ناصية شارع المبتديان وشارع خيرت . .

– احلف أنك تقول الحق .

– أحلف بالله ورسوله وبالست الطاهرة . .

– هل تتعرف على أحد هنا ؟ . .

وفى لحظة تكشف هذا الرجل الذليل عن نمر جرىء ونظر إلى المهندس فى جرأة وغضب وقال :

– هذا هو الذى رأيته . . نعم . . رأيت شابًّا . . وشابة ينفذان من الحارة التى جوارى إلى شارع المبتديان أقبلا يلهثان من طول الجرى . فلما دخلا شارع المبتديان سمعت الشاب يقول للبنت : تمهلى الآن . . سيرى سيرك العادى حتى لا نسترعى النظر . . لقد ضللناهم . . الآن تأتى سيارة سامى بك . .

فقاطعه المهندس قائلا :

سمعته يقول لها ذلك كله حرفاً بحرف ؟ . .

– أجل وكتاب الله . .

فقال المحقق :

– من فضلك لا تقاطع الشاهد . . إننا لا نناقش الشهود الآن . . بل نسمعهم فقط . .

ثم نظر إلى الشاهد وقال :

– استمر فى كلامك يا . .

– محسوبك على البرعى . . وفعلا لم تمر دقيقتان حتى أتت السيارة وقال الشاب :

هذا هو سامى بك . . هذه هى السيارة المرسيدس . . وابتسم هو لهما وفتح لهما الباب فدخلا وانطلقت بهما هذا هو ما رأيت . .

– شكراً . . تفضل أنت . . تعرف تمضى ؟ . .

– محسوبك . . يقرأ ويكتب . .

– إذن وقّع على أقوالك وانصرف . .

يا شاويش . . الشاهد الثالث . .

– وفتح الشاويش الباب وخرج وعاد وخلفه إنسان أعرج يلبس جلباباً وطاقية وسار به حتى وصل أمام المحقق وعاد إلى موضعه . .

ونظر إليه المحقق ثم قال :

– اسمك ؟ . .

– محسوبك عزوز الشيال الشهير باسم بسارية . .

– شغلتك ؟ . .

– خدامك صاحب عربية طعمية وفول وسمك مقلى . .

– لهذا يسمونك بسارية . .

– خدامك مشهور بالبسارية المعتبرة . . والله فيه عائلات باشاوات فى جاردن سيتى لا يأكلون السمك إلا من عندى . .

– كويس . . كويس . . قل لنا ماذا تعرف ؟

– عن ماذا ؟ . .

– أقصد . . هل تعرف أحداً هنا ؟ . .

– فنظر إلى المهندس وقال :

– البيه أراه كل يوم داخلا بسيارته السوداء . . سمعت أنه مهندس . . ومقاول عنده ملايين . .

– رأيته اليوم ؟ . .

– طبعاً . . حوالى الثانية والنصف . . كان الزبائن قد خفوا ووقفت أتغدى مع

ابنى حسن . . سمك بسارية طبعاً . . فرأيت السيارة السوداء تلف على ناصية الشارع وفيها حضرته . . وفتح الباب وخرج منه شاب وشابة يبدو عليهما أنهما تلاميذ فى الجامعة . . قال الشاب لحضرته : شكراً سأتصل بك بالتليفون . . وسمعت حضرته يقول . . لا . . سأتصل أنا بك الساعة السابعة والنصف الصبح على الرقم الثانى . . أسرعا الآن . .

وابتسم المهندس وهو يتأمل هذا الإنسان الكذاب . وتمنى لو نهض فصفعه على وجهه . . ولكنه ملك نفسه وضبط أعصابه ومضى ينظر إلى السقف كأن الأمر لا يعنيه . .

وفرغ الرجل من شهادته وبصم وخرج ، ونظر المحقق إليه وقال :

– كفاية كده ؟ . . أم تريد أدلة أكثر ؟ . .

– ماذا أقول يا حضرة المحقق ؟ . . كل ما سمعته غير صحيح . . وكان لابد أن تسمح لى بمناقشة هؤلاء الناس لكى يتضح لك الحق وتفرغ من هذا الإشكال . .

وخرج المحامى الفنجرى عن صمته وهدوئه وقفز واقفاً وقال :

– أظن يا حضرة الباشمهندس أن الأمر فى حاجة إلى محام أرجو لمصلحتك أن توقع التوكيل . .

وأخرجه من حافظته ومد به يده تحت أنف المهندس . .

فتناول هذا ووضعه على المكتب بهدوء وقال :

– بعدين يا أستاذ فنجرى . . بعدين . . الأمر لم ينته بعد . .

وقال المحقق :

– لم ينته –؟ . . كيف لم ينته ؟ . . هذه هى الأدلة كاملة وجسد الجريمة

ملموس . . إننا سنقفل التحقيق الآن ونصدر أمر الحبس أربعة أيام على ذمة التحقيق . .

وعاد جرس التليفون يدق فأمسك به المحقق واستمع إلى الصوت الآتى من بعيد وقال : أيوه أيوه . . خلاص . . الجريمة ثابتة . . ثابتة تمام . . ما فيش شك . . كلها ربع ساعة ماذا . . تقول ؟ لماذا ؟ . . لقد قيل لى إنكم قبضتم على الجناة . . إذن لماذا ننتظر ؟ . . تقول إنك أرسلت لى رسالة مع مخصوص بالموتوسيكل . . لا تستطيع أن تقول ذلك على التليفون . . ؟ . . طيب . . سأتصل بك بعد أن أنفذ تعليماتك . . حاضر . . ووضع السماعة ونظر إلى المهندس وقال :

– هناك أدلة جديدة . . لا نستطيع أن نقفل التحقيق الآن . . نحن فى انتظارها . .

– فهمت من كلامك أنكم قبضتم على الجناة . .

– طبعاً . .

– هل نستطيع أن نراهم ؟ . .

– لا أظن أن ذلك ممكن الليلة . . إنهم يحققون معهم فى مكان آخر . .

– هل الجناة هم ذلك الشاب وتلك الشابة . .

– مؤكد . . ومن غيرهما . . ؟ . .

– غير معقول . . هذا كله أمر لا يصدق . .

– فقال المحامى :

– يصدق ونصف . . كل الجرائم السياسية تبدو أول الأمر كأنها لا تصدق ثم تتكشف الحقائق ويبدو بوضوح أنها تصدق . .

– يا أستاذ فنجرى أرجوك . . ألا ترى أن كل كلامك ليس فى مصلحتى ؟

– ليس فى مصلحتك ؟ . . عجيب هذا . . ما أتعس المحامى فى هذا البلد . . يهلك نفسه فى سبيل الناس ولا أحد يشكره . . لى أربع ساعات إلى الآن وأنا أبذل جهدى لخدمتك وهذا جزائى ؟ . . حتى التوكيل لا تريد أن توقعه . . يا أستاذ وقع التوكيل أرجوك حتى أقدم معارضة فى أمر الحبس وأخرجك بكفالة . . ألا تريد أن تنام مع أولادك الليلة . . ؟ هل تريد أن تنام على البرش . . إن أتعابى زهيدة جدًّا يا سعادة الباشمهندس . . عشرون جنيهاً مقدم ومائة جنيه مؤخر إذا أتيتك بالبراءة . . وسآتيك بها . . وقع أرجوك حتى أستطيع إخراجك . . !

وأخرج المهندس القلم وقرأ التوكيل ثم وضع إمضاءه وناوله للمحامى وقال : الآن استرحت .

– أنت الذى ستستريح . .

ثم نهض المحقق وترك الغرفة قائلا : عن إذنكم . . دقيقة .

وبعد أن أغلق الباب نظر المحامى إلى المهندس وهمس فى أذنه :

– لا تخـف . . هذه المكالمة التليفونية فى مصلحتك . . قرأت ذلك فى وجه المحقق . إنه الآن مضطرب وقد خرج ليخفى اضطرابه . . نحن على وشك أن نكسب القضية . . إيدك على العشرين جنيهاً مقدم الأتعاب . . حتى أتقدم بطلب الإفراج بكفالة . . إن ابن عمى سعيد الفنجرى نسيب للنائب العام . . هذه الليلة يصدر أمر الإفراج . . أسرع بالعشرين جنيهاً . . هذه قضايا أنا أعرفها إننى أقرأ ما فى عيون المحققين وما فى قلوبهم . . ومادمت إلى جانبك فأنت فى أمان . . العشرين جنيهاً . . ؟ أين هى أرجوك ؟ . .

وبكل تكاسل . . وبينما كان المحامى يتكلم وضع الباشمهندس يده فى جيبه وأخرج حافظة نقوده وناول المحامى عشرين جنيهاً . . فتناولها هذا فى شغف ودسها

فى جيب بنطلونه وقال : أبشر بالبراءة . . براءة مائة فى المائة . . !

وبعد غيبة نحو عشرين دقيقة عاد المحقق جهم الوجه . وجلس إلى مكتبه فى هدوء ثم أشعل سيجارة على حين كان قلب المهندس يدق فى عنف وسرعة . . فإن الكلمة التى سينطق بها هذا الإنسان ربما قررت مصيره إلى الأبد .

وبعد لحظة صمت أخرج المحقق من جيبه خطاباً وقرأه بعينيه مرة ومرة ثم نظر إلى المهندس وقال :

– يبدو أن الله يحبك يا حضرة الباشمهندس . . قبضوا على الجناة واعترفوا . . إنهم غير الشابين ولا علاقة لك بالموضوع . . آسفون جدًّا لتضييع وقتك . .

فتنفس المهندس الصعداء وقال :

– ألف حمد لك يارب . . كنت أعرف ذلك . . قلت لك ألف مرة إنه لا علاقة لى بالموضوع ولكن لابد لى من شكرك فقد عاملتنى باللطف الذى توقعته منك . .

– العفو يا سامى بك العفو . .

– هل تسمح لى أن أتكلم مع أسرتى بالتليفون ؟ . .

فقفز إليه المحامى وقال : لا تليفون ولا يحزنون . . المهم أن تخرج من هنا قبل أن يغيروا رأيهم هذه دار داخلها مفقود والخارج منها مولود يا أستاذ . . هيا . . أرجوك كلم أسرتك من دكان أقرب بقال . . لتخرج إلى الشارع أولا . . نحن الآن على باب جهنم . . من يدرى فربما ينفتح الباب فجأة ويلتهمك . . تعال . . ألم أقل لك إننى سآتيك بالبراءة . . ؟ هل هناك براءة أجمل من هذه ؟ . . فى دقائق . . ألم أؤكد لك أنك ستنام الليلة فى بيتك ؟ . .

ومضى يتكلم وهو يجر المهندس جراً إلى الخارج . . ثم تخلص المهندس من يد

المحامى وعاد وصافح المحقق شاكراً . . وخرج والمحامى يعدو وراءه ويقول مؤخر الأتعاب يا باشمهندس . . وفى البهو التقى بالشاب وبالشابة . . بهت إذ رآهما وقال : وأنتما أيضاً ؟ . . ولم ينطقا بحرف . . فهم كل شىء . . لقد قبض عليهما زبانية مخابرات تلك الأيام . . أتوا بهما من الأرض السابعة . . كانوا يحققون معهما فى غرفة أخرى . .

ونظر ناحية أخرى واتجه إلى الباب ومن خلفه المحامى الفنجرى يصيح : مؤخر الأتعاب يا باشمهندس وعندما كان يهبط السلم لحق به الشاب وقال :

يا حضرة . . يا أستاذ . . ماذا فعلوا معك ؟ . .

– لا شىء . . لا شىء . .

– آسف جدا . . سببنا لك المتاعب . . كانت الخدمة التى قدمتها لنا شؤماً عليك . .

أقسمنا لهم ألف مرة أننا لا نعرفك ولا رأيناك قبل الآن . . ولكنهم لم يصدقوا . .

– شكرًا . . شكرًا . .

– وسار دون أن يصغى إلى بقية كلام الشاب . . وعندما خطا خارج السور الحديدى العالى للمبنى وقف ينتظر سيارة أجرة . . وخرج الشاب والشابة وهما يتحدثان فيما بينهما واتجها إلى اليسار نحو باب الخلق سيرا على الأقدام . . ولحق بهما المحامى واستوقفهما وسأل :

– ماذا حدث ؟ . . كيف قبضوا عليكما ؟ . .

فقال الشاب :

– كما يقبضون على أى مواطن . . على كل متر من الطريق مخبر يرصد الناس . .

مخبر فى صورة بائع أو متسول أو بواب . .

– وكيف أطلقوا سراحكما بهذه السهولة ؟ . .

– لأننا لم نفعل شيئاً ولا علاقة لنا بهذه الجريمة . . ثم إنهم تبينوا أنها جريمة عاطفية . .

قرر ذلك وزير الداخلية نفسه عندما أفاق من المخدر بعد عملية استخراج الرصاص التى أجريت له . .

– قال ذلك صراحة ؟ . .

– لا . . ولكنه ذكر اسم الجانى وكان قد رآه . فعرف الناس بقية الخبر . . الجانى موظف صغير فى الوزارة متزوج من امرأة جميلة جداً ولكنها مش تمام . . اتصل بها الوزير بعد أن رقى زوجها ونقله إلى الإسكندرية . . لم يعلق الشاب ذلك فجاء وترصد للوزير خارج الشقة التى اكتراها لهذه المرأة . . وأطلق عليه الرصاص . . ثم إن الرجل توجه فى الساعة الخامسة إلى المحافظة وسلم نفسه واعترف بأنه الفاعل . .

– وكيف عرفتما ذلك كله ؟ . .

– نحن أيضاً لنا من يأتينا بالأخبار . . الشباب لا يلعبون يا حضرة ومصر بخير . . وهذه الحال لا يمكن أن تستمر . .

ففتح المحامى فمه دهشاً وقال :

– إذن فأنتما . .

فقاطعه الشاب قائلا :

– لا . .لا . . لسنا كما تظن . . نحن شبان مصريون يحبون وطنهم ولكننا لا نغتال أحداً ، هؤلاء الناس يغرقون بأنفسهم فى بحر من آثامهم . .

وتركاه ومضيا مسرعين . .

وكان المهندس سامى عبد الرحمن قد استبطأ عربة الأجرة فسار إلى أقرب بقال وتكلم بالتليفون وطمأن أسرته . . وعندما خرج إلى الطريق لحق به المحامى ، وكان يتلفت باحثاً عنه وقال :

– أين أنت يا باشمهندس . . إننى أبحث عنك لأبلغك أسرار الجناية . . كنت أعرف أنك برىء من أول الأمر . . ثم . . مؤخر الأتعاب . .

وأتت سيارة الأجرة ودخل المهندس . . وأراد المحامى الدخول خلفه فانقفل الباب فأدخل هذا رأسه من الشباك وقال :

– ألا توصلنى بعض الطريق ؟ . .

– لا . . لن أوصل أحداً بعد اليوم . . كفاية . . توبة . . ألف توبة . .

– ومؤخر الأتعاب ؟ . .

ولم يجب المهندس ، وانطلقت به السيارة بعيداً وهو يبتسم ويقول : ألف حمد لله ألف حمد . .